الدولة العثمانية

القوة والضعف

1288- 1924

تأليف : أ.د محمد مظفر الادهمي

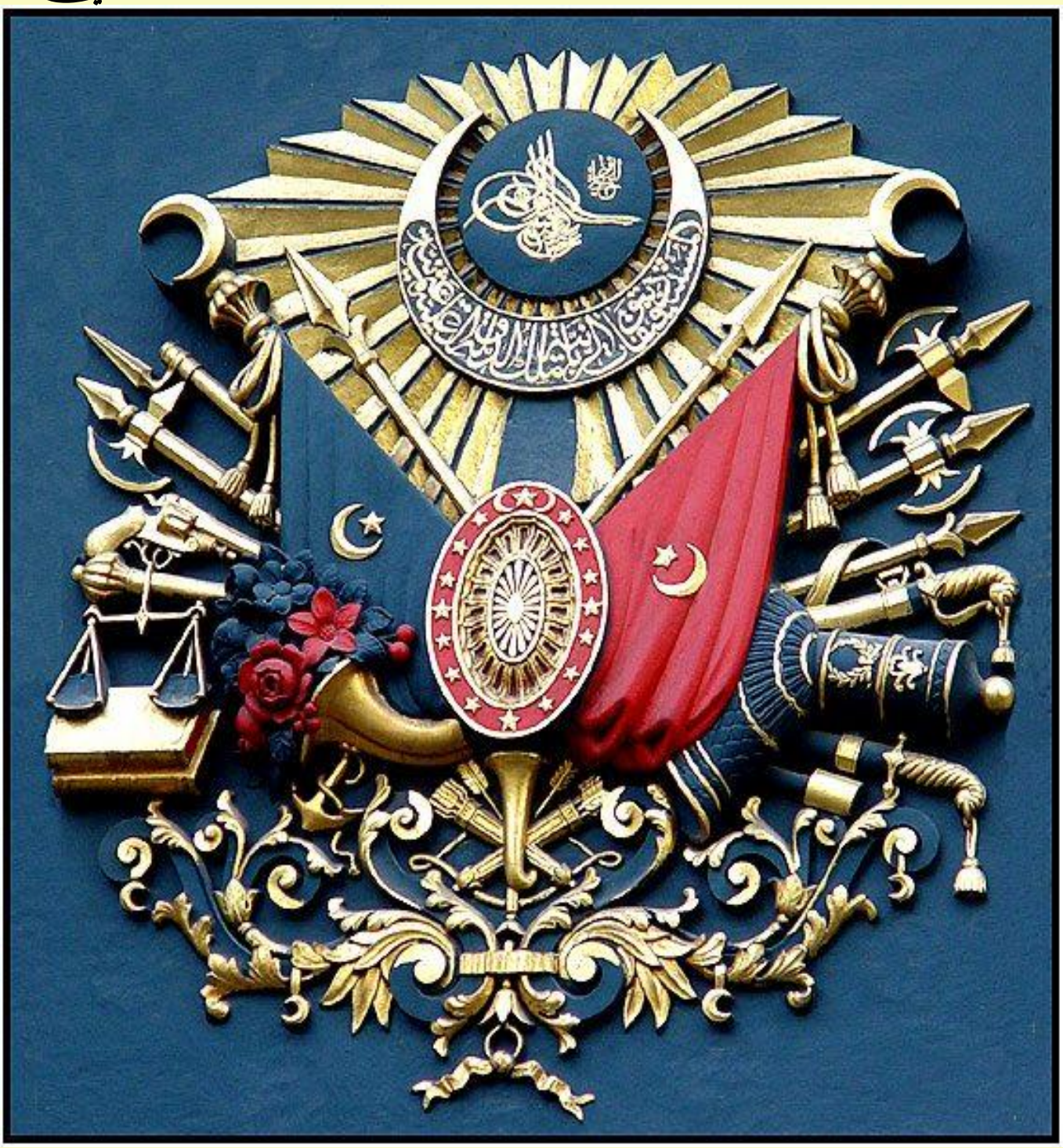

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة كتاب

الدولة العثمانية

القوة والضعف

1288- 1924

تأليف : أ.د محمد مظفر الادهمي

برزت الدولة العثمانية كقوة مؤثرة في آسيا واوربا خلال عصر الامبراطوريات الكبرى التي كانت تتنافس فيما بينها لتوسيع رقعتها الجغرافية على حساب الاخرى , ولذلك تصدى العثمانيون لقوى الشرق والغرب الكبرى وفي مقدمتهم الدولة الصفوية ودولة المماليك ودولة المغول بقيادة تيمورلنك في أسيا , والامبراطوريات النمساوية والروسية والفرنسية والبريطانية وغيرها في اوربا .

لقد تمكن السلاطين العثمانيين الاوائل من بناء قوتهم و دولتهم في آسيا الصغرى (تركيا) مستفيدين من الفراغ السياسي فيها الذي ولده ضعف السلاجقة والبيزنطيين .اضافة الى امتلاك العثمانيين عقلية تنظيمية ادارية عسكرية مكنتهم من تأسيس دولتهم بعد اعتناقهم الاسلام في عهد مؤسسها عثمان الاول في

آواخر القرن الثالث عشر الميلادي . ثم توسعوا شمالا في اوربا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وفتحوا القسطنطينية , وبلغوا ذروتهم في هذا التوسع في القرن السادس عشر , لدرجة انهم هددوا عاصمة الامبراطورية النمساوية فينا , ثم اتجهوا بعد ذلك جنوبا ليفتحوا الوطن العربي وسيطروا عليه عدا المغرب الاقصى وعدن .ان هذه الفتوحات والانتصارات قد تحققت في عهود السلاطين الاوائل مثل اورخان ومراد الاول وبايزيد ومحمد الفاتح وسليم الاول وسليمان القانوني الذين يمثلون عصر القوة الحقيقية للدولة العثمانية والتي اصبحت في عهودهم امبراطورية قوية متماسكة مترامية الاطراف تضم شعوبا عديدة .

كان بناء الدولة العسكرية قويا اعتمد جيش الانكشارية والاسطول البحري , فكانت امبراطورية عسكرية بكل معنى الكلمة , فحققت انتصارات حاسمة في معاركها مع القوى الكبرى جعلت منها قوة مهابة امام امبراطوريات الشرق والغرب .

قام العثمانيون بنشر الاسلام في منطقة البلقان , ومع ان بعض المصادر الاوربية تقول ان العثمانيين فرضوا الدين الاسلامي على الاوربيين بالقسر والقوة , ولكن بحوثا ودراسات اخرى اثبتت العكس , فقد تأثر اهل البلاد الاوربية المفتوحة بالاسلام ومبادئه وتعامله معهم , فقاموا هم انفسهم بالتبشير به في البانيا وصربيا والبوسنة والهرسك وغيرها , ولم يجبر احد على اعتناق الاسلام, بل ان المسيحيين عوملوا معاملة حسنة ولم يجبروا على ترك ديانتهم وفقا للشريعة الاسلامية , وكان المسيحيون يعفون من الخدمة العسكرية مقابل دفعهم الجزية , وبعد فتح القسطنطينية توطدت العلاقة بين الدولة العثمانية والكنيسة المسيحية , واعلن محمد الفاتح نفسه حاميا لها , وحرم اضطهاد المسيحيين او

التعرض لهم .وكان للكنيسة مدارسها الخاصة بها . وسعى محمد الفاتح الى استمالة الكنيسة الارثدوكسية باعتباره حاميها وراعيها ضد بابا روما . وتكفلت الدولة العثمانية بحماية وحرية ممارسة المسيحيين لشعائرهم الدينية في الكنائس والاديرة.

ان هذا التسامح والرعاية العثمانية للمسيحيين ثد انعكست في كتابات الرحالة الاوربيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر, وذلك قبل ان تبدأ حملة التشويه التي قام بها الاوربيون ضد الدولة العثمانية بعد ضعفها وزوالها .

ان هذه القوة التي سادت العالمين الآسيوي والاوربي في العصور الوسطى والحديثة كانت تحمل في ثناياها بذور الضعف التي بدأت تظهر منذ عهدي السلطانين سليم الثاني ومراد الثالث حينما اختفت ظاهرة خروج السلطان لقيادة جيشه في الحرب, وانصرف الى حياة العيش الرغيد والملذات . ولعل الهزيمة الساحقة التي حلت بالاسطول العثماني عام 1571 م امام اساطيل اسبانيا ومالطة والبندقية , والتي انهت قوته في تلك المعركة البحرية , تمثل اول مظهر عسكري من مظاهر بدايات الضعف . من جانب أخر فان توقف الحروب والتوسع وانتقال الدولة العثمانية الى مرحلة الدفاع قد حول جيش الانكشارية الى قوة داخلية عاثت بالارض فسادا بعد ان اصبح لها نفوذا واسعا في البلاط, فشهدت مرحلة الضعف حكم 17 سلطانا لم يتمكن معظمهم من الحفاظ على قوة الدولة وهيبتها . ويمكن القول ان ضعف السلاطين وطغيان الانكشارية والهزائم العسكرية ومعاهدات الضعف والتراجع امام الاوربيين والامتيازات الاجنبية وحركات التمرد والانفصال ثد قلصت حدود الدولة العثمانية بحيث لم يبق منها عند قيام الحرب العالمية الاولى عام 1914 سوى تركيا والعراق

وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية عدا عدن . ورغم محاولات الاصلاح والتحديث لمواكبة تطورات العصر الحديث , الا انها فشلت جميعا في نهوض الدولة العثمانية من كبوتها , مما ادى الى انهيارها في مطلع القرن العشرين شأنها شأن الامبراطوريات المعاصرة مثل الامبراطورية الروسية وامبراطورية الصين وامبراطورية النمسا والمجر وامبراطورية المانيا . وقامت على انقاضها الجمهورية التركية بعد الغاء السلطنة واعلان الجمهورية عام 1924 .